



ISSN: 1994-4217 (Print) 2518-5586(online)

Journal of College of Education

Available online at: <https://eduj.uowasit.edu.iq>



**Dr. Naseer Khairallah
Muhammad**

**College of Arts /
University of Tikrit**

Email:

Keywords:

**Royal authority, Myths
Epics , Ancient Greece**

Article info

Article history:

Received 29.Dec.2021

Accepted 17Feb.2022

Published 28.Feb.2022



Health Institutions in Iraq during the Ottoman Era

A B S T R A C T

The health conditions in Iraq during the Ottoman Empire were bad, as the most basic elements of health conditions were lacking in it, so ponds and swamps with stagnant and polluted water spread, and insects spread diseases that killed many residents, and this was due to the failure of the Ottoman authorities to make any concrete efforts to treat this is the problem.

The Ottoman era was characterized by a lack of interest in the health aspect, and the medical staff in that period was characterized by a lack of awareness, as well as their use of primitive methods in treating health problems that appeared during that period, as well as insufficient financial allocations for the health aspect, which led to the closure of a number of hospitals, especially in Rural areas, despite this, helped reduce the spread of epidemics and diseases through the measures they took, especially in times of outbreaks of epidemics and diseases, and thus reduce the size of losses among the population.

© 2022 EDUJ, College of Education for Human Science, Wasit University

DOI: <https://doi.org/10.31185/eduj.Vol2.Iss47.3077>

المؤسسات الصحية في العراق خلال العهد العثماني

أ.د. نصير خيرالله محمد
كلية الآداب/ جامعة تكريت

الملخص

كانت الأوضاع الصحية في العراق أبان الدولة العثمانية سيئة، إذ انعدمت فيها أبسط مقومات الشروط الصحية، فكثر البرك والمستنقعات ذات المياه الراكدة والملوثة، وانتشرت فيها الحشرات الناقلة للأمراض التي أودت بحياة الكثير من السكان، وكان هذا الأمر بسبب عدم بذل السلطات العثمانية أي جهود ملموسة لمعالجة هذه المشكلة. تميز العهد العثماني بقلّة الاهتمام بالجانب الصحي، كما أتسمت الكوادر الطبية في تلك المدة بقلّة الوعي، فضلاً عن استخدامها الطرق البدائية في علاج المشاكل الصحية التي ظهرت في تلك المدة، وكذلك عدم كفاية التخصيصات المالية للجانب الصحي، مما أدى إلى إغلاق عدد من المستشفيات ولاسيما في المناطق الريفية، وعلى الرغم من ذلك إلا أنها ساعدت في الحد من انتشار الأوبئة والأمراض من خلال الاجراءات التي اتخذتها، ولاسيما في أوقات نقشي الأوبئة والأمراض، وبالتالي تقليل حجم الخسائر بين السكان.

الكلمات المفتاحية: العهد العثماني، العراق، الجانب الصحي، الأوبئة والأمراض، المستشفيات.

المقدمة

عاشت الولايات العثمانية في العراق أوضاعاً تتعدم فيها أبسط الشروط الصحية، فقد كانت فيها الأوضاع الصحية والبيئية غير صالح للحياة، إذ خلت الولايات العراقية من بواذر النظافة، وانعدام أبسط الشروط الصحية، ناهيك عن كثرة البرك والمستنقعات ذات المياه الراكدة والملوثة التي تنتشر فيها وبمحيطها أنواع الحشرات الضارة والناقلة للأمراض ولم تبذل السلطات العثمانية أية جهود ملموسة لمعالجة هذه الامور.

تناول الباحث دراسة اوضاع المؤسسات الطبية والصحية في العراق خلال سيطرة الدولة العثمانية، والعودة الى البدايات الأولى لاهتمام الدولة العثمانية بالخدمات الصحية، وإنشاء عدد من المحاجر الصحية عند المنافذ الحدودية ومدن العتبات المقدسة.

جاءت اهمية الموضوع من خلال التعرف على الاعمال والقرارات للدولة العثمانية من اجل الحد من انتشار الامراض والابئة في الولايات العراقية، ويأتي بحثي من بين دراسات وبحوث قيمة درست هذا الموضوع، وكيف حاولت الدولة العثمانية من خلال سلطاتها في العراق من تأسيس وتطوير النظام الصحي في المدن العراقية. يحاول الباحث في دراسته الاجابة عن عدة اسئلة وهي: كيف كانت الاوضاع الصحية والطبية في العراق مع بداية السيطرة العثمانية؟، وماهي السبل والطرق التي انتهجتها الدولة العثمانية؟، وهل كان للأهالي والارساليات التبشيرية دوراً في دعم المؤسسات الصحية؟، ودور الدولة العثمانية في انشاء المؤسسات الطبية الحديثة في العراق؟.

ومن خلال المصادر التي توفرت لدى الباحث قسم الباحث بحثه الى مبحثين، تضمن المبحث الأول الاوضاع الصحية والنشاطات الطبية للدولة العثمانية والارساليات التبشيرية في العراق، وتناول المبحث الثاني المؤسسات الصحية العثمانية الحديثة، وذيل الباحث بحثه بالخاتمة وقائمة المصادر.

ان المنهج المتبع في دراسة الموضوع هو المنهج التاريخ فبحكم طبيعة الموضوع كان ضرورياً اعتماد هذا المنهج لقراءة وتتبع الاحداث التاريخية.

وقد اعتمد الباحث على العديد من المصادر العربية فضلاً عن الرسائل والاطاريح والبحوث المنشورة، وكان اهم تلك المصادر هاشم الوتري ومعمّر خالد الشابندر تاريخ الطب في العراق، وكذلك اعتمد الباحث على اطروحة دكتوراه للمى عبد العزيز مصطفى عبد الكريم الخدمات العامة في العراق ١٨٦٩-١٩١٤، والذي ارفد بها بحثه في جميع مباحثه، فضلاً عن بحث منشور ابراهيم خليل احمد، النشاطات الطبية والخدمات الصحية في العراق ١٢٥٨-١٩٢١ والذي ارفد به بحثه في جميع مباحثه، وغيرها العديد من المصادر التي رفدت الباحث في بحثه.

المبحث الأول: الاوضاع الصحية والنشاطات الطبية للدولة العثمانية والارساليات التبشيرية في العراق:- أولاً: الاوضاع الصحية:

ظل العراق خلال العهد العثماني يعاني من الفقر والجهل والمرض وكانت الحالة الصحية للناس في غاية التدهور والانحطاط، وقد لعبت البيئة دوراً كبيراً في التأثير على المستوى الصحي، فكثرة البرك والمستنقعات والفيضانات أدت إلى انتشار الامراض المختلفة. ولم تبذل السلطات العثمانية جهوداً كبيرة في مجال تقديم الخدمات الصحية للسكان^(١).

أما المدن فقد بقيت منذ تشييدها إلى اواخر القرن التاسع عشر بقلاعها واسوارها، وبأزقتها الضيقة وطرقها الملتوية خالية من الميادين والفسحات الكبيرة، وكانت المدن مقسمة إلى محلات تتوفر فيها المؤسسات العامة كالمساجد والكنائس والحمامات والمقاهي واسواق الاطعمة، علاوة على الاسواق الكبيرة للمدينة كسوق الحنطة وسوق اللحم وغيرها، وكانت طرقات المدينة تعج بالحيوانات من خيل وبغال وجمال وابقار وحمير، تأوي إلى اصطبلات شيدت لها بجوار دور سكنى اصحابها او داخلها أو إلى الخانات العامة المشيدة قرب الاسواق لإيواء الحيوانات القادمة من القرى والمحملة بصنوف الغلال والمنتجات الزراعية لبيعها في المدينة، وكانت الطوابق العليا من هذه الخانات مقسمة إلى حجرات يأوي اليها المسافرين. لذلك كانت النظافة معدومة في شوارع المدن وازقتها غير المبلطة والمملوءة بالحفر، اذ لا يخفى ما تسببه نفايات هذا العدد الكبير من الحيوانات من اوساخ في الشوارع، وكانت هذه الاوساخ تجمع من قبل بعض الاهالي للاستفادة منها كوقود في حين تكس في اكوام او تلال صغيرة بجوار كل محلة، وتكون مرتعا لتكاثر الذباب وغيره من الحشرات الضارة، تلعب فيها الرياح وتنقلها مع ما تحمله من جراثيم لتسبب امراضاً عديدة^(٢).

وقلما وجدنا من الولاة من يهتم بنظافة المدن والاطعمة والمأكولات وتعد مبادرة والي بغداد احمد توفيق باشا سنة ١٨٦٠م احدى المبادرات الفريدة من نوعها، عندما أمر القصابين واصحاب المأكولات بوضع ستر من الخام على موادهم للمحافظة عليها من الغبار والذباب^(٣).

ومن العوامل الاخرى التي أسهمت في تدهور الحالة الصحية تدني المستوى التعليمي، وانعدام الوعي الصحي لدى الغالبية العظمى من السكان، وإذا كان ثمة من يراجع الطبيب فان ذلك لا يكون قبل استفحال المرض، وبالتالي لا يتمكن الطبيب من شفائه لفوات الاوان.

ومن العوامل الاخرى التي ساعدت على تفشي الامراض السارية والوبائية وقوع العراق في مفترق الطرق فضلاً عن قربه من الهند مما جعله عرضة للأمراض الوافدة التي كانت تنقل بواسطة القوافل التجارية وقوافل الزوار الاجانب، وعلاوة على جثث الموتى التي يتم نقلها من ايران وغيرها من البلاد الاسلامية لتدفن في النجف الاشرف وكثيرا ما كانت هذه الجنائز تبقى فترة من الزمن في انتظار إنجاز المعاملات الرسمية لتأمين مرورها، مما ترتب عليه الكثير من المحازير الخطيرة^(٤).

لم تكن في العراق وحتى ستينات القرن التاسع عشر مستشفيات باستثناء المستشفى الوحيد في ولاية الموصل، الذي يرقى تاريخ افتتاحه إلى سنة ١٢٦٠هـ/١٨٤٤م اما الاطباء فيندر ان يكون هناك اكثر من طبيب في مركز كل ولاية،

ولذلك اقتصرت ممارسة المهنة على بعض المشعوذين والدجالين وبعض المتطببين الذين لم تتجاوز معرفتهم الحقائق التي تلقوها شفاهاً، إذ توسع بعضهم في معلوماته من خلال قراءته بعض الكتب القديمة، اما بالنسبة للقرى والارياف فقد مارس المهنة اشخاص توارثوها عن آباءهم واجدادهم^(٥).

وامام هذه الاسباب، لم يكن مستغرباً انتشار الامراض الوبائية التي كانت تفتك بالسكان فتكاً ذريعاً، فعلى سبيل المثال تفشى وباء الكوليرا (الهواء الاصفر) في الاعوام ١٨٢٠، ١٨٣٠، ١٨٦٥، ١٨٧٠، ١٨٧١، ١٨٨١، ١٨٨٩، ١٨٩٣، ١٩١٦، ١٩١٧، وتقش الطاعون وبشكل وبائي في السنوات ١٧٨٣، ١٨٠٢، ١٨٣١، ١٨٦٧، ١٨٧٤، ١٨٧٥، ١٨٧٧، ١٨٨٢^(٦).

أما الامراض المعدية الاخرى، كالجدري، والتيفوئيد، والامراض الجلدية فانتشرت هي الاخرى خاصة بين البرد، ولم يكن امام السكان للوقاية من هذه الوبئة سوى الهروب من المدن الموبوءة إلى اماكن اخرى خالية من المرض فعندما تفشى مرض الطاعون في بغداد سنة ١٨٧٦م اضطر اهلهما إلى ترك المدينة والاقامة في مخيمات في الصحراء وخارجها^(٧).

ثانياً: النشاطات الطبية العثمانية:

لقد سار الطب في العهد العثماني متخاذلاً خاصة بعد ان عول على الكتب التي فيها بعض المتأخرين ممن لم يكونوا اطباء. وطبيعي جداً ان بعض هذه الكتب تكون حافلة بالتعاون والخزعات راسخة على افساد المبادئ الفسيولوجية او البيولوجية، وان الطب في هذه الفترة اقتصر على وجود متطببين لا تتجاوز مدى معرفتهم بعض الحقائق الأساسية التي كانوا يتلقونها شفاهاً وكان اكثرها تقليدياً وتوسع بعض منهم في معلوماته فقرأ الكتب القديمة، ولم يكن في ذلك العهد وخاصة في بواكيره من يستحق ان يطلق عليه لقب طبيب حتى في المدن الكبرى، اما في القرى والارياف فكان يتعاطى المهنة اشخاص توارثوها عن الاباء والاجداد يعتمدون فيها على بعض التجارب والادوية. وكان من بينهم نسوة يصفن العقاقير ويداوين العيون، وكان يوجد خلاف اولئك ممارسون جوالون كان لبعضهم خبرة في خلع الاسنان، وكان يعول في الجراحة على الحلاقين الذين كانوا يتعاطون كذلك الحجامه، وكان للطب البدوي الذي يعتمد الكي والادوية النباتية شأن عظيم، وكانت هنالك وصفات يعتمدها الناس في المدن والقرى منها معالجة لدغ الثعبان والعقرب بتدمية مكان العضة ومصه مع الربط فوق مكان اللدغ ثم الكي بالنار على محل اللدغ^(٨).

ظل الطب متخلفاً غير قادر على كشف اسباب الأمراض وطبيعتها الا بعد التوصل إلى صنع المجهر وكشف الميكروبات والاشعة والاهتداء إلى العلاج باللقاح المضاد للجدري والطاعون والكوليرا وغيرها بالمركبات المضادة، ولم يتحقق ذلك الا بصورة بطيئة وصعبة ابتداء من القرنين السادس عشر والسابع عشر. وكان اول اتصال بالتقدم العلمي الطبي في اوربا قد جرى عن طريق مؤلفات ابن سلوم صالح افندي بن نصر الله الحلبي رئيس الاطباء في الدولة العثمانية وقد ادرك هذا بدايات حركة التقدم الطبية عند الأوربيين واقتبس من مؤلفاتهم. ومما هو جدير بالذكر ان مؤلفات هذا الطبيب قد توفرت آنذاك في معظم خزائن الكتب العراقية المؤلفات : « برء الساعة » و « غاية الاتقان في تدبير بدن الانسان » وقد توفي الحلبي قبل ان يتم تأليف هذا الكتاب فأتمه وهذبه نجله يحيى افندي. وقد ترجم الكتاب إلى اللغة التركية بعنوان « نزهة الابدان »^(٩).

برز عدد الأطباء في العراق ومنهم الحاج محمد العبدلي الذي قرأ الطب والتشريح، ففاق جميع اقرانه وغلب عليه دون غيره من العلوم، وقد برز العبدلي مشرفاً على اطباء الموصل في معالجة الالاف من الجرحى الوافدين الى الموصل على اثر المعركة التي دارت بين القوات العثمانية وقوات الغزو الايراني بقيادة نادر شاه بالقرب من نهر العظيم في اوائل

حزيران ١٧٣٣، كما قصده عدد كبير من المرضى من كل ناحية من نواحي العراق وكثيراً ما كان يستدعى الى بغداد لمعالجة الوالي او غيره من المسؤولين وقد يصيب المريض على يده شفاء فتخلع عليه خلع القبول والرضى^(١٠).
لقد كان من نتائج السمعة العلمية التي حصل عليها الحاج محمد العبدلي ان تحفز عدد من الشباب الموصلية للتخصص بدراسة الطب والبروز فيه خلال الفترات اللاحقة، وهكذا اصبحت الموصل تقدم الخدمات الطبية ليس الى سكانها فحسب بل ولسكان المناطق المجاورة الذين توافدوا عليها للاستفادة من خبرة اطبائها المشهورين في تلك المرحلة التي سبقت ظهور المؤسسات الصحية الحديثة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر^(١١).

ثالثاً: النشاطات الطبية للإرساليات التبشيرية:

ساهمت الإرساليات التبشيرية في تقديم الخدمات الصحية في العراق إلى جانب السلطات العثمانية، فقد كانت الخدمات الطبية في طليعة الخدمات، إذ ادرك اعضاء هذه الإرساليات ان تحقيق مثل هذه الخدمات كفيل بتأمين الاحتكاك المباشر بالناس، وبالتالي تأمين الوصول إلى الغايات التبشيرية اذ كان الناس، بأمس الحاجة إلى مثل هذه الخدمات، والى ذلك يشير احد اعضاء هذه البعثات بقوله "ان الطبيب المؤهل والجراح الممتاز يملكان ترخيصاً يفتح امامهما الابواب المغلقة"^(١٢).

ولعل ابرز تلك النشاطات نشاط الاباء الدومنيكان الذين قدموا خدماتهم الطبية لأهالي الموصل، بعد مدة قصيرة من تأسيس إرسالياتهم فيها سنة ١٧٥٠، إذ برز منهم طبيبان ايطاليان هما الاب فرنسيسكو تورياني والاب دومنيكو كوديليونشني حيث استقبلهم الجليليون وافسحوا لهم مجالاً ودافعوا عنهم، ولم تقتصر خدماتهم الطبية على مدينة الموصل فعندما مرض احد اقرباء حاكم العمادية ارسل امين باشا الجليلي (١٧٥٢-١٧٥٥م) الاب تورياني لمعالجته^(١٣).

كما اشتهر من المبشرين الدومنيكان الاب جان باتيستابوتي، وكذلك الاب يوسف قومياثلي، والاب اوغسطين مارجي الذي كانت له جهود عمرانية وطبية إذ قام بتشييد دير مار يعقوب قرب دهوك سنة ١٨٤٧ وفتح مستوصفا لمعالجة الاهالي في المناطق الجبلية الذي استمر في تقديم خدماته العلاجية حتى الحرب العالمية الثانية، وفي أعقاب انتقال قيادة البعثة التبشيرية الدومنيكية في الموصل من الايطاليين إلى الفرنسيين سنة ١٨٥٦ برز عدد من الاطباء منهم الاب هياسانت بيسون، والاب لويس ليون والاب كالان والدكتور دنيس كوليو وعدد اخر من الاطباء^(١٤).

وفي سنة ١٨٦٧ مر بالموصل البارون ليجون ممثل الامبراطور نابليون الثالث قادماً من بلاد فارس وفي اثناء رحلته اصيب بمرض ادى إلى وفاته بعد حين على أثر ذلك قامت والدته سنة ١٨٧٤ بالتبرع بمقدار كبير من المال لأثناء مستشفى في الموصل سمي باسم "مستشفى ليجون" الذي جرى افتتاحه سنة ١٨٧٦، وامام افتقار ولاية الموصل إلى مثل هذه الخدمات، لقي المستشفى اقبالا متزايداً من المراجعين، كما احتوى المستشفى ايضا على ردهة للمعوزين والمرضى الغرباء، كما قامت الإرسالية نفسها بافتتاح عيادة طبية لمعالجة امراض العيون فضلا عن دار للمسنين^(١٥).

وفي سنة ١٩٠٠ قامت جمعية التبشير الكنسية الانكليزية بافتتاح مستشفى خاص بها في بغداد حيث تألف في بداية افتتاحه من عيادة خارجية، واربعة اسرة تم تخصيصها للمرضى الذين هم بحاجة إلى اجراء عمليات جراحية وبمرور الوقت احرز هذا المستشفى تقدماً ملحوظاً في الخدمات العلاجية التي قدمها، وأمام النجاح الذي حققه هذا المستشفى، باشرت الإرسالية التبشيرية بتشيد مستشفى جديد في محلة السعدون، الا ان هذا المستشفى سرعان ما توقف العمل به وبشكل نهائي بسبب اندلاع الحرب العالمية الاولى^(١٦).

وفي ولاية البصرة، كان للإرسالية العربية الامريكية ظهرت جهودها في هذا المضمار ابتداءً من سنة ١٨٩٢، من خلال الخدمات العلاجية التي قدمها الدكتور ريكز، ثم اخذت اعداد المراجعين بالازدياد خاصة بعد قيام أطباء الإرسالية

المذكورة بأجراء العمليات الجراحية، وفي سنة ١٩٠٤ افتتحت الارشالية عيادة نسائية، كما تم توسيع مجال الخدمة الطبية لتشمل القبائل الفاطنة في شمال وشرقي البصرة^(١٧).

وقام المبشرون الكرمليين بافتتاح صيدلية ببغداد، فضلاً عن تقديم الدواء قدمت الصيدلية المذكورة خدمات علاجية من خلال انتدابها لعدد من الاطباء الماهرين للعمل منهم الدكتور ارام أفندي اخصائي الجراحة والعيون، ومنذ العقد الاول من القرن التاسع عشر قامت شركة الهند الشرقية الانكليزية بإدخال التطعيم الى العراق من خلال إيفاد الاطباء العاملين في هذه الشركة الى بغداد والبصرة، في حين قدم مستوصف المقيمة البريطانية العاملة في بغداد خدماته العلاجية الى المرضى تلك الخدمات التي استمرت حتى قيام الحرب العالمية الاولى، وقد حظى اسلوب تعامل المبشرين، وأطباء القناصل في ميدان الخدمة الطبية باحترام الناس، وجلب أنظارهم خاصة المثقفين منهم الى قيم الحضارة الاوربية، ونبه أذهانهم الى واقع شعبهم المأساوي في ظل الحكم العثماني، غير ان الجهود الطبية للإرساليات التبشيرية واطباء القنصليات لم تكن ذات أهداف إنسانية بحتة فهي اتخذت من الخدمة الطبية وسيلة لجذب الناس اليها والتمهيد لنفوذهم السياسي ولجمع المعلومات عن السكان وميولهم ولإعطاء انطباعات ايجابية عن حبهم للإنسانية^(١٨).

المبحث الثاني: المؤسسات الصحية العثمانية الحديثة:-

أولاً: المستشفيات:-

يعود الفضل إلى والي الموصل محمد اينجة بيرقدار (١٨٣٥-١٨٤٣) في انشاء اول مستشفى رسمي في العراق وهو مستشفى "القشلة العسكرية"^(١٩)، حيث كان الغرض الرئيسي من إنشائه تأمين الخدمة الصحية للفرقة (١٢) من الجيش العثماني الموجودة في الموصل، وكان يدير المستشفى المذكور سنة ١٨٩٢ عدد من اطباء الولاية وهم المقدم ديمتراكى، والرائد عيسى والجراح اسماعيل افندي، يساعدهم أثنان من الصيادلة، ثم انضم للعمل معهم كل من الاطباء البنباش (المقدم) حسن بدري ومحمد أمين وبسبب ظروف الحرب العالمية الاولى والحاجة الماسة إلى مثل هذه الخدمات، فقد ازدادت أهمية هذا المستشفى ابان تلك المرحلة^(٢٠).

اما اول مستشفى عام في العراق فقد أنشاه في بغداد والي مدحت باشا (١٨٦٩-١٨٧٢) الذي ادرك منذ الوهلة الاولى يتدهور الاوضاع الصحية، فحدث نقلة نوعية في الميدان الطبي حيث بدأت الحملة الاولى ضد التخلف والشعوذة والامراض المنتشرة بين الجميع آنذاك، ولما كانت خزينة الولاية لا تكفي لبناء المشروع المذكور ناشد مدحت باشا الاهالي بالتبرع لبناء المستشفى، فانهاالت عليه تبرعات الاغنياء والوجهاء... عند ذلك تم تشييد هذا المستشفى الذي جرى افتتاحه سنة ١٨٧٢م وسمي بـ "مستشفى الغرباء"، واحتوى على ٥٠ سريراً، وضم عدداً من الاقسام منها قسم الامراض الباطنية وقسم الجراحة، وقسم الامراض الزهرية، فضلاً عن جناح خاص للمساجين والمعتمدين والعواهر وكان العلاج في المستشفى مجاناً^(٢١).

أما ادارة المستشفى فقد اسندت إلى دائرة البلدية الاولى، ويبدو ان هذا المستشفى لم يلق اقبالاً عند افتتاحه بسبب تفضيل الناس لأساليب العلاج التقليدية القديمة، كما تم تخصيص هذا المستشفى للغرباء لذلك كان معظم الملتهجين اليه من الفقراء والمتسولين، إذ وجد بعضهم فيه المكان المناسب ليقضوا فيه بقية حياتهم، وقد واجهت المستشفى منذ بداية تأسيسها وحتى نهاية العهد العثماني، صعوبات عديدة لعل في مقدمتها افتقارها إلى الموارد الكافية لتأمين استمرارية عملها، وأمام هذه المشكلة لجأت ادارة المستشفى إلى مناشدة الاهالي لبذل المساعدات المادية، والمشكلة الثانية التي واجهت عمل المستشفى فكانت الافتقار إلى الملاكات الطبية والادارية، التي كانت احد اسباب اغلاق المستشفى لأكثر من مرة، ثم انتهى امر المستشفى نهائياً سنة ١٨٩١ وتحويل البناية الى دائرة المعارف، ونقلت محتوياته إلى المستشفى الذي انشأه نامق باشا^(٢٢).

يعود الفضل إلى نامق باشا الصغير (١٨٩٩-١٩٠٢) في انشاء ثاني مستشفى في بغداد في جانب الرصافة، اذ جرى افتتاحه في ٥ نيسان ١٩٠١ واشتمل على عدة اقسام (باطنية، جراحية، عيون، نسائية)، وقد لقي المستشفى اهتماماً كبيراً من الوالي نامق باشا الذي كان يطمح إلى جعله افضل من غيره، لذا جلب له الادوية والمطهرات والآلات الجراحية من اوربا^(٢٣).

اما الهيئة الادارية فتألفت من مدير ووكيله وعاملين آخرين لمختلف الشؤون الادارية فضلاً عن مجموعة من الاطباء لمختلف الاختصاصات الموجودة في المستشفى، وكانت نفقات المستشفى تدفع من واردات البلدية، وكانت الاصول المتبعة في ادخال المرضى إلى هذه المستشفى ان يحصل المريض على شهادة من البلدية تؤيد فقر حاله قبل دخوله المستشفى^(٢٤).

وفي ولاية نجم الدين ملا (١٩٠٨-١٩٠٩م) تم استرداد بناية مستشفى الغرباء الذي شيده مدحت باشا من دائرة المعارف، حيث نقلت اليه محتويات المستشفى الذي كان نامق باشا قد أنشأه، وقام هذا الوالي بإعادة اعمار المستشفى عن طريق تبرعات الاهالي، وبإسهام خاص منه ايضاً وتولت دائرة البلدية الثالثة مهمة الاشراف عليه، وقد استمر هذا المستشفى في تقديم خدماته العلاجية حتى الاحتلال البريطاني لبغداد سنة ١٩١٧، حيث قام العثمانيون بإخلائه ونقلوا كافة محتوياته وسجلاته واتفوا بعضها، اما الانكليز فقاموا بتحويله إلى مستشفى للأمراض العقلية^(٢٥).

وفي سنة ١٨٩٥ صدر الامر من نظارة الداخلية العثمانية (وزارة الداخلية) لأنشاء مستشفى اخر في ولاية بغداد حيث جرى افتتاحه سنة ١٨٩٧م سمي بـ "مستشفى المجيدية"، جرى تخصيصه لمنسوبي الجيش العثماني في العراق، وكان يديره الاطباء العسكريون الملتحقون بالقطعات العسكرية العثمانية في العراق^(٢٦).

وفي سنة ١٩١٠ جرى افتتاح مستشفى اهلي في بغداد شيدها احد اثرياء اليهود ويدعى مستشفى (مير الياص) حيث عدت من افخم المستشفيات وأكبرها آنذاك^(٢٧)، ومستشفى (دار المعلمين) التي فتحت ابوابها للمراجعين في نيسان ١٩١٢، ومستشفى (السبع ايكار) التي أخذت تستقبل جرحى الحرب العالمية الاولى بشكل يومي، اضافة الى ذلك وجود مستشفى عسكري في قضاء الحلة، تألف ملاكها الطبي من طبيب وجراح فضلاً عن ملاك وظيفي وعدد من موظفي الخدمة وكان هناك مستشفى اخر في قضاء كربلاء، بطاقة استيعابية قدرها ٣٠ سريراً^(٢٨).

أما بالنسبة لولاية البصرة فقد افتقرت هذه الولاية وحتى العقد التاسع من القرن التاسع عشر إلى مثل هذه الخدمات، ويبدو انه بناء على تعليمات وردت من استانبول، أجمع أعيان البصرة وكبار العسكريين والموظفين، وتقرر جمع التبرعات لإقامة مستشفى تضم ٢٠ سريراً ودار للعجزة لإيواء (٢٠) عاجزاً، وخلال مدة ثلاثة اشهر، جرى افتتاح المستشفى التي سميت بـ (مستشفى الغرباء) (غرباخسته خانه سي)، وذلك في ٢٨ آب ١٨٩٠م في محلة عزالدين حيث بدأت بتقديم خدماتها للمراجعين من المرضى، فضلاً عن ذلك، كانت هناك مستشفى البحرية العسكرية الواقعة على الضفة الشرقية لشط العرب في منطقة الصالحية، التي اتخذت ايضاً مركزاً للحجر الصحي^(٢٩).

اما فيما يخص ولاية الموصل ففضلاً عن المستشفى العسكري، اشارت سالنامه ولاية الموصل لسنة ١٨٩٤ إلى وجود مستشفى اخرى في قضاء دهوك، ومستشفى عسكري في كركوك فيما لسنة ١٩٠٧، ومستشفى مدني في السليمانية، وفي سنة ١٩١٢ تبرعت بلدية الموصل بأنشاء مستشفى الغرباء في المدينة، حيث عين فيها عدد من الاطباء العراقيين منهم الدكتور داؤد الجلبي، والدكتور فتح الله غنيمه، والدكتور عبد الكريم قليان^(٣٠).

اما بالنسبة للصيديات، فقد توزعت على الشكل الآتي : ٦ صيديات في ولاية بغداد، وصيدلية رسمية واحدة في البصرة، فضلاً عن عدد من الصيديات الاهلية، وصيديات أهلية في ولاية الموصل، فيما اشارت سالنامه ولاية الموصل لسنة ١٩٠٧ إلى وجود صيدليتين في كركوك، وكثيراً ما ارتبطت الصيدلية بوجود طبيب خاص يحدد وجوده في الصيدلية لتقديم العلاج للناس، في حين فضل الكثيرون الاعتماد على الاعشاب والوصفات الموجودة لدى العطارين^(٣١).

ثانياً: دوائر الحجر الصحي:-

تشكلت ادارة المجلس الصحي الاعلى في عهد السلطان محمود الثاني عندما قرر الاخير اللجوء الى مساعدة ممثلي الصحة العالميين لمنع انتشار الامراض الوبائية، خاصة بعد انتشار مرض الطاعون الذي اجتاح العاصمة استانبول سنة ١٨٣٧، وقد تألفت ادارة المجلس المذكور من ثمانية اعضاء ممثلين للدولة العثمانية، ومندوبي قنصل روسيا وفرنسا وألمانيا والنمسا والمجر وبريطانيا وبلجيكا واسبانيا وهولندا واليونان والسويد والنرويج وايران، وفي سنة ١٨٤٠ صدر نظام الكرنيتية أو ما يعرف بالحجر الصحي، وتلاها اصدار أنظمة وتعليمات فرعية لهذا النظام حتى اصدار نظام الادارة العمومية، الذي اولى جانباً من اهتمامه لموضوع الحجر الصحي إذ الزمت إحدى مواد هذا النظام مأموري الكرنيتية بضرورة إخطار الجهات الرسمية في حالة ظهور وباء ما^(٣٢).

شهدت الولايات العراقية خاصة ولاية بغداد، افتتاح العديد من دوائر الحجر الصحي، التي كانت تمارس اعمالها بصورة منتظمة في منتصف القرن التاسع عشر، وقد عنى الوالي مدحت باشا في اثناء ولايته بافتتاح عدد من دوائر الحجر الصحي في مناطق السليمانية وراوندوز وخانقين ومندلي وفي مدن العتبات المقدسة وبعض المدن الكائنة في الطرق الموصلة اليها لكثرة الزوار الايرانيين الذين يفدون لزيارتها، كما منع الايرانيين من الحج عن طريق العراق الى الديار المقدسة ما لم يتزودوا بشهادة السلامة الصحية من دوائر الحجر الصحي الموجودة على الحدود^(٣٣).

اما ولاية البصرة، فضلاً عن مركز الحجر الصحي الرئيس الذي اقيم فيها جرى افتتاح عدد من دوائر الحجر الصحي ومنها دائرة الحجر الصحي في منطقة أبي الخصيب والفاو^(٣٤).

دأبت دوائر الحجر الصحي على اتخاذ الاجراءات اللازمة تجاه الاشخاص والسفن الوافدة الى العراق، من خلال حجز الزوار القادمين لمدة (١٠) أيام، وكانت تلك الاجراءات تزداد شدة في اثناء انتشار الامراض فخلال المدة المحصورة ما بين الاعوام ١٨٩٦-١٩٠٠ تم حجز (٤٠٩) سفينة تجارية، كما خضع للعزل والتطهير ثمانية الاف مسافر وعشرون الفا من أطقم السفن، في حين وصل مجموع المستقيدين من خدمات دوائر الحجر الصحي ١٤,٣٦٣ مسافراً سنة ١٩٠٦ كان من ضمنهم ٤,٩٢٩ من العراقيين، كما شملت إجراءات الحجر الصحي الرزم والطرود البريدية التي تم انزالها الى كمرك الحجر الصحي حيث تم تطهيرها قبل نقلها^(٣٥).

اعتمدت دوائر الحجر الصحي في تأمين نفقاتها المالية على الايرادات التي تستوفيها الرخص التي تمنح لمرور السفن، والرسوم التي تؤخذ من السفن لقاء مكوئها في مراكز الحجر الصحي، والضريبة التي تستوفيها دوائر الحجر الصحي عن كل زائر يقضي مدة الحجر الالزامي في مراكز الحجر الصحي وعن الجنازة التي تدخل المدن لتدفن فيها^(٣٦). وفي سنة ١٩٠٩ اصدرت وزارة الصحة في استانبول بعض التعديلات على قواعد الحجر الصحي، اعقبها تعديل اخر سنة ١٩١٣، قضى بتأسيس موقف للحجر الصحي في جميع مراكز الالوية وغيرها من التعليمات، وبالرغم مما اكتنف عمل هذه الدوائر من سلبيات. فقد نجحت والى حد ما في ضوء إمكاناتها المتاحة، في الحد من انتشار الامراض الى حدما، فلو سمحت السلطات المعنية للوافدين من المناطق الموبوءة بالدخول الى العراق، من دون اتخاذ الاجراءات الوقائية اللازمة تجاههم لكان من المتوقع ان تقضي هذه الامراض الفاتكة على اعداد كبيرة من السكان^(٣٧).

الخاتمة:

شهد العراق ومدنه انتشار العديد من الامراض والابوئة اودت بحياة الكثيرين من السكان، وادى عدم اهتمام الحكومة العثمانية بإيجاد حلول جديّة لحد من انتشار الابوئة الى استمرار نقشي الامراض والابوئة في الولايات العراقية، فضلاً عن عدم قدرتها على مواجهة الامراض بالوسائل الطبية الحديثة.

ظهرت في المدن العراقية نتيجة لقلّة الوعي الصحي ظاهرة الحكماء الذين كانوا يمارسون مهنة الطبابة رغم عدم امتلاكهم للمعرفة الوافية عن الامراض او طرق علاجها واعتمادهم على طرق بدائية في علاج المرضى.

رغم السلبات التي اتصفت بها دوائر الحجر الصحي الا انها ساعدت في الحد من انتشار الاوبئة والامراض من خلال الاجراءات التي اتخذتها في اوقات تفشي تلك الاوبئة والامراض وبالتالي تقليل حجم الخسائر بين السكان. إن العهد العثماني تميز بقلّة الاهتمام بالجانب الصحي ويتضح ذلك من النقص الواضح في عدد المستشفيات الموجودة في الولايات العراقية، فضلاً عن ذلك عدم توفير الكوادر الطبية اللازمة لتلك المستشفيات وعدم كفاية مخصصاتها المالية ادى الى اغلاق عدد من المستشفيات، كما كانت اغلب تلك المستشفيات تتركز في مراكز المدن وبقية القرى والارياف بعيدة عن الرعاية الصحية. نستنتج من كل ما سبق ذكره بأن هناك قدراً لا بأس به من الاهتمام بالخدمات الصحية في الولايات العراقية التابعة للدولة العثمانية، الا انها لم تكن تتناسب مع متطلبات الولايات والحاجة الماسة لتطوير أوضاعها الصحية.

هوامش البحث:

- (١) ابراهيم خليل احمد، النشاطات الطبية والخدمات الصحية في العراق ١٢٥٨-١٩٢١، مجلة آداب الرفادين، جامعة الموصل، كلية الآداب، ١٦٤، ١٩٨٦، ص ٢٥٠ - ٢٥١.
- (٢) المصدر نفسه، ص ٢٥١.
- (٣) نمير طه ياسين، بدايات التحديث في العراق ١٨٦٩ - ١٩١٤، رسالة ماجستير (غير منشورة)، الجامعة المستنصرية، كلية الآداب، ١٩٨٤، ص ٣٢.
- (٤) لمى عبد العزيز مصطفى عبد الكريم، الخدمات العامة في العراق ١٨٦٩-١٩١٤، اطروحة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة الموصل، كلية الآداب، ٢٠٠٣، ص ٣٠٣ - ٣٠٤.
- (٥) ابراهيم خليل احمد، المصدر السابق، ص ٢٥٢.
- (٦) ج.ج. لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، ترجمة: مكتب امير دولة قطر، مطبعة علي بن علي، الدوحة، د.ت، ج ٦، ص ٣٦٥٦ - ٢٦٥٩.
- (٧) لمى عبد العزيز مصطفى عبد الكريم، المصدر السابق، ص ٣٠٤.
- (٨) ابراهيم خليل احمد، المصدر السابق، ص ٢٥٢.
- (٩) عماد عبدالسلام رؤوف، الموصل في العهد العثماني ١٧٢٦-١٨٢٤، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٧٥، ص ٣٩٥ - ٣٩٦.
- (١٠) ابراهيم خليل احمد، المصدر السابق، ص ٢٥٣ - ٢٥٤.
- (١١) المصدر نفسه، ص ٢٥٤.
- (١٢) لمى عبد العزيز مصطفى عبد الكريم، المصدر السابق، ص ٣١٤.
- (١٣) مجموعة مؤلفين، حضارة العراق، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٥، ج ١١، ص ٢٠١.
- (١٤) ابراهيم خليل احمد، المصدر السابق، ص ٢٥٩.
- (١٥) لمى عبد العزيز مصطفى عبد الكريم، المصدر السابق، ص ٣١٥.
- (١٦) المصدر نفسه، ص ٣١٥ - ٣١٦.
- (١٧) عبدالملك خلف التميمي، التبشير في الخليج العربي، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، ٢٠٠٠، ص ٩٥ - ٩٦.
- (١٨) لمى عبد العزيز مصطفى عبد الكريم، المصدر السابق، ص ٣١٧ - ٣١٨.
- (١٩) احمد الصوفي، تاريخ المحاكم والنظم الادارية في الموصل ١٥٣٤-١٩١٨، مطبعة ام الربيعين، الموصل، ١٩٤٩، ص ١٨.
- (٢٠) لمى عبد العزيز مصطفى عبد الكريم، المصدر السابق، ص ٣٠٦.
- (٢١) هاشم الوتري ومعمّر خالد الشاندر، تاريخ الطب في العراق، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٣٩، ص ٥٣، ص ٥٤.
- (٢٢) لمى عبد العزيز مصطفى عبد الكريم، المصدر السابق، ص ٣٠٦، ص ٣٠٧.
- (٢٣) جميل موسى النجار، الادارة العثمانية في ولاية بغداد من عهد الوالي مدحت باشا الى نهاية الحكم العثماني ١٨٦٩ - ١٩١٧، مكتبة مندولي، القاهرة، ١٩٩١، ص ٤٤٧.

- (٢٤) هاشم الوتري ومعمّر خالد الشايندر، المصدر السابق، ص ٥٤ - ٥٦.
- (٢٥) لمى عبد العزيز مصطفى عبد الكريم، المصدر السابق، ص ٣٠٨ - ٣٠٩.
- (٢٦) عبد الكريم العلاف، بغداد القديمة ١٨٦٩ - ١٩١٧، ط٢، دار العربية للموسوعات، بيروت، ١٩٩٩، ص ٣٣.
- (٢٧) ستيفن همسلي لونكريك، العراق الحديث ١٩٠٠ - ١٩٥٠، ترجمة: سليم طه التكريتي، منشورات الفجر، بغداد، ١٩٨٨، ج ١، ص ٩٧.
- (٢٨) لمى عبد العزيز مصطفى عبد الكريم، المصدر السابق، ص ٣١٠.
- (٢٩) جعفر عبد الدائم بنیان المنصور، التاريخ الصحي لمدينة البصرة واخر العهد العثماني ١٩٣٩، دار الفيحاء، بيروت، ٢٠١٧، ص ٥٢ - ٥٣.
- (٣٠) لمى عبد العزيز مصطفى عبد الكريم، المصدر السابق، ص ٣١١.
- (٣١) المصدر نفسه، ص ٣١٣.
- (٣٢) المصدر نفسه، ص ٣١٩.
- (٣٣) المصدر نفسه، ص ٣٢٠.
- (٣٤) طالب محمد جاسم، الصراع البريطاني العثماني على الفاو، جامعة البصرة، مجلة دراسات البصرة، ع ٤، ٢٠٠٧، ص ٢٩٥.
- (٣٥) ابراهيم خليل احمد، المصدر السابق، ص ٢٦٣ - ٢٦٤.
- (٣٦) لمى عبد العزيز مصطفى عبد الكريم، المصدر السابق، ص ٣٢١.
- (٣٧) المصدر نفسه، ص ٣٢٤.

قائمة المصادر:

أولاً: المصادر العربية:

١. احمد الصوفي، تاريخ المحاكم والنظم الادارية في الموصل ١٥٣٤-١٩١٨، مطبعة ام الربيعين، الموصل، ١٩٤٩.
٢. جعفر عبد الدائم بنیان المنصور، التاريخ الصحي لمدينة البصرة واخر العهد العثماني ١٩٣٩، دار الفيحاء، بيروت، ٢٠١٧.
٣. جميل موسى النجار، الادارة العثمانية في ولاية بغداد من عهد الوالي مدحت باشا الى نهاية الحكم العثماني ١٨٦٩ - ١٩١٧، مكتبة مديولي، القاهرة، ١٩٩١.
٤. عبد الكريم العلاف، بغداد القديمة ١٨٦٩ - ١٩١٧، ط٢، دار العربية للموسوعات، بيروت، ١٩٩٩.
٥. عبدالملك خلف التميمي، التبشير في الخليج العربي، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، ٢٠٠٠.
٦. عماد عبدالسلام رؤوف، الموصل في العهد العثماني ١٧٢٦-١٨٢٤، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٧٥.
٧. مجموعة مؤلفين، حضارة العراق، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٥، ج ١١.
٨. هاشم الوتري ومعمّر خالد الشايندر، تاريخ الطب في العراق، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٣٩.

ثانياً: المصادر المعربة:

١. ج.ج. لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، ترجمة: مكتب امير دولة قطر، مطبعة علي بن علي، الدوحة، د.ت، ج ٦.
٢. ستيفن همسلي لونكريك، العراق الحديث ١٩٠٠ - ١٩٥٠، ترجمة: سليم طه التكريتي، منشورات الفجر، بغداد، ١٩٨٨، ج ١.

ثالثاً: الرسائل والاطاريح:

١. لمى عبد العزيز مصطفى عبد الكريم، الخدمات العامة في العراق ١٨٦٩-١٩١٤، اطروحة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة الموصل، كلية الآداب، ٢٠٠٣.
٢. نمير طه ياسين، بدايات التحديث في العراق ١٨٦٩ - ١٩١٤، رسالة ماجستير (غير منشورة)، الجامعة المستنصرية، كلية الآداب، ١٩٨٤.

رابعاً: البحوث المنشورة:

١. ابراهيم خليل احمد، النشاطات الطبية والخدمات الصحية في العراق ١٢٥٨-١٩٢١، جامعة الموصل، كلية الآداب، مجلة آداب الرفادين، ١٩٨٦، ١٦ع.
٢. طالب محمد جاسم، الصراع البريطاني العثماني على الفاو، جامعة البصرة، مجلة دراسات البصرة، ع ٤، ٢٠٠٧.